الوقف في الجملة الشرطية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين

دراسة صوتية معملية

إعداد

د. عائشة صالح أحمد بابصيل

أستاذ فقه اللغة المساعد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة جدة

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

ملخص الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة على توضيح ملمح من الملامح الأدائية، وهو الوقف في الجملة الشرطية، من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين، بهدف الكشف عن وظائف الوقفات، وأنواعها، حسب المنهج الوصفي، فجاءت الدراسة في ثلاثة محاور، مسبوقة بتمهيد عن الجملة الشرطية في اللغة العربية، أما المحاور الثلاثة فتناولت الوقف في دراسات السابقين، ووظائف الوقف في الجملة الشرطية، ثم أنواع الوقف، كل ذلك من خلال المادة اللغوية المدروسة التي بلغت (٢٧٧) جملة شرطية لسبعة من خطباء الحرمين الشريفين، وختمت الدراسة بأبرز النتائج، والتي منها: الكشف عن الملامح العامة المميزة للوقفة المنتهية والوقفة غير المنتهية، والتلازم بين الوقفات والعناصر الأدائية الأخرى كالنبر، والتزمين، وبيان العوامل المؤثرة في الكم الزمني للوقفات.

تقديم:

الكلام ليس مجرد رصف كلمات بجوار بعضها، ترمز لمعانٍ معينة فقط، بل يزدوج تركيبه من الحروف ومما يقترن به من "هيئة ونغمة ونبرة"[١]، ولذا يتكون الكلام من:

١- الأصوات اللغوية، أو الفونيمات التركيبية.

٢- الملامح الأدائية، أو الفونيمات فوق التركيبية[٢].

فالوقفات ملمح من الملامح الأدائية، التي يعتمد عليها المتكلم في أدائه، ويوظفها للتعبير عن معانيه وأفكاره، ونقل رغباته وعواطفه للآخرين.

وتتوفر هذه الدراسة على بيان الوقف: وظائفه، وأنواعه في نوع من أنواع الجمل العربية، وهو الجملة الشرطية، في فن من فنون القول، وهو الخطابة، من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين على أساس من المنهج الوصفي، بهدف الكشف عن دور الوقف في الأداء الخطابي، ووظائفه التي يقوم بها في إيصال الرسالة للسامعين، ولمعرفة نظام الوقف في الخطابة العربية.

وتقع الدراسة في تمهيد، وثلاثة محاور وخاتمة. أما التمهيد فهو بيان توضيحي مجمل للجملة الشرطية، المجال التطبيقي الذي قامت عليه الدراسة. وجعلت المحور الأول للوقوف على عطاء السابقين في دراسة موضوع الوقف، أما المحور الثاني فجاء بعنوان وظائف الوقف في الجملة الشرطية، وفي المحور الثالث عرضت أنواع الوقف حسب ما جاء في الدراسة التطبيقية، وانتهى البحث إلى جملة من النتائج التي ضمّتها الخاتمة.

وقد قامت الدراسة باختيار سبعة من خطباء الحرمين الشريفين، وهم: عبد الباري الثبيتي – علي الحذيفي – صالح بن حميد – عبد الرحمن السديس – سعود الشريم – حسين آل الشيخ – عبد المحسن القاسم، ورمز لكل خطيب برقم على التوالي، ابتداء بالأول وانتهاء بالسابع. وقد اختيرت خطب الجمعة لهؤلاء السبعة متنوعة في موضوعاتها، ومتباعدة في أزمانها، بغية تنويع المادة اللغوية التي تقوم عليها الدراسة، وكان مجموع الخطب سبع عشرة خطبة، اشتملت على (٢٧٧) مئتين وسبع وسبعين جملة شرطية، خضعت للدراسة السمعية ثم للدراسة التحليلية على جهاز السوناجراف بأخذ القياسات المتعددة المطلوبة لإقامة الدراسة.

تمهيد: الجملة الشرطية في اللغة العربية:

الجملة الشرطية نمط من أنماط الجمل النحوية، وهي تتركب من جملتين: الأولى تمثل الشرط، والثانية تمثل الجواب، وتسبقهما أداة تحقق الترابط بينهما، وهي أداة الشرط، كما قد تأتي الفاء في جواب الشرط، زيادة لتأكيد الصلة والعلاقة بينهما، هذا النمط التركيبي له تميزه الدلالي، لكون الجزء الثاني بمثابة النتيجة للأول، والأول بمثابة المقدمة للثاني، مما يعطي مزيداً من التأكيد والتقرير للمعنى.

والحديث هنا عن الجملة الشرطية مركز، يدور حول أدوات الشرط وجملتي الشرط والجواب، نمهد به للحديث عن الوقف: وظائفه وأنواعه.

اتفق النحاة بلا خلاف على أن حروف الشرط هي: "إنْ – أمّا – لو – لوما لولا"، وأن "ما – من – أيّ – متى – أيان – أين – أنّى – حيثما – كلّما – إذا – كيف" أسماء الشرط. واختلفت كلمتهم في بعض أدوات الشرط: هل هي حروف أو أسماء؟ وهي: إذما – مهما – لمّا [٣].

وحظيت أدوات الشرط باهتمام النحو بين لعنايتهم بما سُمِّي بنظرية العامل، وأدوات الشرط منها مالا يعمل، ومنها ما يعمل في غيره، فهي تجزم الشرط والجواب. ويمكن تفسير الجزم صوتياً بأنه سلب الحركة من آخر الفعل المضارع الصحيح الآخر، أو تقصيرها في الفعل المضارع المعتل الآخر، فمثال ذلك في الفعل المضارع الصحيح الآخر: الفعلان (يَدْرُسُ yad-ru-su يَنْجَحُ yan-ga-ḥu) فبعد دخول أداة الشرط عليهما يصبحان: " إنْ يدرسْ عليّ ينجحْ: yad-rus / yan-gaḥ "

فالضمة في المقطع (su) في الفعل (يدرسُ)، والضمة في المقطع (ḥu) في الفعل (ينجحُ) قبل دخول أداة الشرط عليهما حذفتا بعد دخولها،

دلالة على جزم الفعلين، ووضع السكون علامة كتابية للجزم، مقابلاً للضمة علامة للرفع. ومثال الفعل المضارع المعتل الآخر: الفعل (يُرْضي / yur-ḍi:) فإذا سبقته أداة شرط نحو: " من يُرضِ والديه يفلحْ. نجد أن الحركة في المقطع الأخير (ḍi:) قد قصرت بعد دخول أداة الشرط (ḍi:).

واختلف في السكون علامة للجزم: هل هو حركة رابعة تضاف للحركات الثلاث في اللغة العربية أو أنه ليس بحركة؟

ناقش الدكتور كمال بشر قضية السكون في اللغة العربية، وانتهى إلى القول بأن السكون جزء من نظام الحركات في اللغة العربية؛ لأنه يؤدي وظيفتها، على الرغم من أنه صوتياً لا ينطق، وليس له أي تأثير سمعي، فهو ليس صوتاً صامتاً، أو حركة، أي أنه عَدَمٌ، أو لا شيء، وهذا ما أحس به ابن هشام حين سمّى السكون بحذف الحركة[٤] ولذا سمّاه الدكتور بشر بالحركة الصفر.[٥]

هذا فيما يتصل بأدوات الشرط، أما جملتا الشرط والجواب فإن لهما تميّزاً دلالياً وضّحه إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني بأن الناظم لا يبتغي غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك "إن تخرجْ أخرجْ"، و "إن خرجتَ خرجتُ"، و "إن تخرجْ فأنا خارجٌ"، و "أنا خارجٌ إن خرجتَ"، و "أنا – إن خرجتَ خارجٌ"[٦] فذكْر الإمام لهذه الأنماط الشرطية فيه توجيه وتمليح إلى الفروق الدلالية التي تميز كل نمط عن الآخر، فالتعبير بالمضارع "تخرجْ – أخرجْ" فيه معنى التعليق، والتعبير بالماضي "خرجتَ – خرجتُ" فيه معنى التأكيد، إذ يدل على رغبة المتكلم في وقوع الفعل، فأكد ذلك التعبير بالماضي، ومجيء الجواب جملة اسمية فيه معنى الثبوت، أي أن المتكلم يؤكد حكمه ويقويه، كما أن حذف الجواب أو اعتبار دليل الجواب جواباً متقدماً للشرط

فيه معنى التركيز، ففيه فضل عناية واهتمام بالجزاء، وفي إقحام الشرط بين المبتدأ والخبر تنبيه والتفات، ففيه عناية خاصة بالشرط.

أما عند النحويين فإن النمط الأساسي للجملة الشرطية أن تكون أفعالها مضارعة. يقول المبرد "فأصل الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة، لأنه يعربها، ولا يعرب إلا المضارع"(٧)، وقد يكون فعل الشرط ماضياً، لم يبق على دلالته الأصلية، وإنما صار كالمضارع أو في قوة المضارع، أو يكون جواب الشرط ماضياً، نحو "إن تقمْ قمت"، وهذا نمط لم يحظ بالقبول والاستحسان عند بعض النحويين، "وغير جائز عند الأكثرين منهم في الاختيار والسعة، لأن الجزاء أقصر في الاستقبال من الشرط، فاستقبحوا أن يجيء الشرط على الأصل الذي يستحقه من لفظ الاستقبال ومعناه ويجيء الجزاء على لفظ المضي، وهو أحق بالاستقبال لفظاً ومعنىً".(٨)

وقد يكون الشرط والجواب بلفظ الماضي، نحو: "إن قمتَ قمتُ"، كما أن الجواب قد تقترن بالفاء أو بإذا الفجائية، ويقع الحذف في جملة الشرط، فتحذف الأداة والشرط، ويذكر الجواب وهذا يكون في السياق الشرطي لأداة الشرط (أما)، نحو: أما زيدٌ فمنطلقٌ"، والتقدير "مهما يكن من شيء فزيدٌ منطلقٌ"، والسياق الشرطي للمضارع الواقع جواباً للطلب، نحو: "ذاكرْ تنجحْ" والتقدير "ذاكرْ فإن تذاكرْ تنجحْ". وقد يقع الحذف لجواب الشرط، نحو: أنت ظالمٌ إن آذيتني"، والتقدير "أنت ظالم إن آذيتني فأنت ظالم" وهذا النمط يطرح سؤالاً: لم لا يكون تقديم الجواب على الشرط صورة من صور الجملة الشرطية، ليكون ذلك أقرب للواقع اللغوي وللاستعمال، لاسيما أن هذه الصورة قد وردت كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة ولغة العرب، وهذا يتفق مع توصيف الواقع اللغوي دون حاجة إلى تأويل وتقدير، ويكون التقديم لنكتة بلاغية هي إيتان الحكم بأنه ظالم. ومذهب

التقديم هذا هو ما قال به الكوفيون، والمبرد وأبو زيد مخالفين بذلك مذهب البصريين الذين قالوا بالحذف وأن المتقدم هو دليل الجواب.[٩]

وعلى ذلك، يلحظ القارئ التميز التركيبي للجملة الشرطية فهي تجمع بين عنصرين: الشرط والجواب، وكل منهما إما جملة بسيطة مفردة، وإما جملة متعاطفة، ويربط بين هذين العنصرين أكثر من رابط:

أولهما: أداة الشرط التي لها موقعيتها اللازمة مذكورة، أو مقدرة.

ثانيهما: ما يربط بين الجواب والشرط من مثل: الفاء الواقعة في جواب الشرط، أو إذا الفجائية. وانعكس هذا التركيب المتميز على جانب المعنى، بقوة الحكم الذي تحمله الجملة الشرطية، كما بينا سابقاً.

المحور الأول: الوقف في دراسات السابقين

لقد نالت الوقفات اهتمام العلماء قديماً وحديثاً:

قديماً: حيث أفردت بالتأليف والتصنيف، وبخاصة في القراءات القرآنية.

وحديثاً: حيث التفت المحدثون إلى أنواعها، ووظائفها، وأطوال أزمانها، أو الكم الزمني لها، وعلاقاتها .. إلى آخره. ويجدر هنا البدء بالسابقين في إلقاء الضوء على عطائهم بالنسبة للوقفات:

يتركز عطاء السابقين عند اللغويين، وعند علماء التجويد والقراءات، حيث ألفوا عدداً من الكتب، التي حملت اسم الوقف، والابتداء، والأوقاف، والمقاطع، والمبادئ منذ القرن الثاني الهجري(١٠)، وتوالت تلك الكتب، التي جاءت مستقلة في موضوع الوقف، أو تمثل فصولاً وأجزاء من كتب علوم القرآن وكتب النحو واللغة.

فبالنسبة للغويين، فقد عقدوا باباً في كتبهم، يحمل اسم (الوقْف)، وتحدثوا فيه حديثاً ضافياً عن كيفية الوقف في نظام اللغة الفصحى، أو في بعض اللهجات، فتحدثوا عن:

- **الوقف على الاسم المنون، مثل: جَاءَ زَيْدْ – رَأَيْتُ زَيْدا – مَرَرْتُ بِزَيْدْ.**
- **الوقف على هاء الضمير، مثل: رَأَيْتُهْ – رَأَيْتُهَاْ.**
- **الوقف على الاسم المنقوص، مثل: هَذَا قَاضْ، ويجوز: هَذَا قَاضِي.**

- الوقف على الاسم المحرّك الآخر، فإن كان آخره هاء التأنيث وُقف عليه بالسكون، مثل: هَذِهِ فَاطِمَةْ، وإن كان غير الهاء، ففي الوقف عليه خمسة أوجه:

١- التسكين، مثل: هَذَا مُحَمَّدْ.

٢- الرّوْم، وهو الإشارة إلى الحركة بصوت خفي.

٣- الإشمام، وهو عبارة عن ضمّ الشفتين بدون صوت، ولا يكون إلاّ في المضموم.

٤- التضعيف، مثل: هَذَا خَالِدّ.

٥- النقل، مثل: هَذَا بَكُرْ – رَأَيْتُ بَكَرْ – مَرَرْتُ بِبَكِرْ.

- الوقف بهاء السكت، مثل: لَمْ يُعْطِهْ في (لَمْ يُعْطِ)، وعِهْ في (عِ)، وعَمَّهْ في (عمَّ) .. إلى آخر تلك الأحكام(١١)، وكلها تدور حول الصورة الصوتية التي تترتب على الوقف من حذف، أو ذكر، أو زيادة، ولا دخل للمعنى في ذلك.

أما علماء التجويد والقراءات، فإنّهم تناولوا الوقف تناولاً جديداً، حيث ربطوه بقضية المعنى والدلالة، فيكون الوقف حيث يكون المعنى تامّاً، ويمتنع حين يكون ناقصاً، ثم ربطوه بموضوع يترتب عليه وينتج عنه، ألا وهو الابتداء، وألّفوا في ذلك العديد من الكتب التي تحمل عنوان (الوقف والابتداء)، وأخذوا يطبقونه على القرآن الكريم سورة سورة، وآية آية، وحددوا عملياً عن طريق العلامات مواضع الوقف وأحكامه.

وهذا ابن الجزري – مثلاً – يتحدث في كتابه "النشر في القراءات العشر" عن الوقف والابتداء في القرآن الكريم: فعرّف الوقف بأنه: "عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يُتَنَفّس فيه عادة بنية استئناف القراءة"(١٢)، وهو تعريف يتّسم بالوضوح والدقة، فقد شمل حقيقة الوقف

بقوله: (قطع الصوت)، وموضعه حين قال: (على الكلمة)، ووظيفته حيث قال: (يُتَنَفّس فيه عادة ...)، وهو في ذلك يلتقي مع معطيات الدراسات الصوتية الحديثة.

ثم ذكر أن الوقف نوعان:

١- وقف اضطراري، وهو الذي لم يتمّ الكلام معه، واصطُلِح على تسميته بالوقف القبيح، ولا يجوز تعمد هذا الوقف إلاّ لضرورة انقطاع النفس، ونحوه؛ لعدم الفائدة، أو لفساد المعنى، مثل الوقف على (بِسْمِ)، وعلى (الْحَمْدُ)، وعلى (رَبِّ)، وعلى (مَالِكِ يَوْمِ)، وعلى (إِيَّاكَ) .. إلخ.

٢- وقف اختياري، وهو على أنواع:

أ- الوقف التام: وهو الذي يكون الكلام معه تاماً، لا تعلّق له بما بعده، لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى، وسمّي تاماً؛ لتمامه المطلق، وأكثر ما يكون في رؤوس الآي، وانقضاء القصص، مثل الوقف على (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) والابتداء بـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، والوقف على (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، والابتداء بـ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ١-٤).

ب- الوقف الكافي: وهو الذي يكون للكلام معه تعلق بما بعده، من ناحية المعنى، وسمّي كافياً؛ للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، ويكثر في الفواصل وغيرها، مثل: الوقف على (وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ)، والابتداء بقوله: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، ومثل:

الوقف على (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ)، والابتداء بـ (وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) (البقرة: ٣-٥).

ج- الوقف الحسن: وهو الذي يكون للكلام معه تعلق من جهة اللفظ، وسمّي حسناً؛ لأنه حسن مفيد في نفسه، مثل: الوقف على (بِسْمِ اللَّهِ)، وعلى (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، وعلى (رَبِّ الْعَالَمِينَ). ولهذه الأنواع أحكام تراعى في قراءة القرآن الكريم وقفاً وابتداءً.

كما بيّن ابن الجزري الحكمة من الوقف، ودلّل على وجوب تعلمه ومعرفته، يقول: "لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة، أو القصة في نَفَس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب – حينئذٍ – اختيار وقت للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخلّ بالمعنى، ولا يخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته، كما قدمنا عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قوله: الترتيل معرفة الوقوف، وتجويد الحروف، وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبي ﷺ، فيتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها. ففي كلام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم، وصحّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح"[١٣]. وبلغ الأمر بعلماء القراءات أن تحرّوا الدقة في المصطلح، فميزوا بين الوقف، والقطع، والسكت: فالقطع هو قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، والانتقال إلى أمر

آخر، والسكت: هو قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس(١٤)، والوقف كما سبق بيانه، هو قطع الصوت على الكلمة زمناً، يُتَنَفّس فيه عادة، بنية استئناف القراءة.

هذا التناول العلمي لقضية الوقف نتج عن اهتمام علماء القراءات بالقراءات القرآنية، والأحكام المتعلقة بِها، حرصاً منهم على اتباع هدى النبي ﷺ في التلاوة المثلى المتوارثة عنه ﷺ، وكان من ثمار ذلك الاهتمام ما يجده قارئ القرآن الكريم اليوم من علامات الوقف التي اصطلح العلماء عليها، وعبروا عن مدلول كل منها برمز خاص، فالعلامة (لا) تدل على الوقف الممنوع، و (م) تدل على وجوب الوقف، أو الوقف اللازم، و(ج) لجواز الوقف، و(قلے) لجواز الوقف والوصل، والوقف أولى، و(صلے) لجواز الوقف والوصل، والوصل أولى.

ومن هنا يمكن القول بأن قضية الوقف في اللغة العربية قد نالت حظاً وافراً من الدراسة عند علمائنا العرب، سواء على مستوى الأداء القرآني، أم على مستوى الأداء في بقية فنون القول، على الرغم من أنّهم لم يمتلكوا وسائل معينة على ذلك، أو معامل صوتية تساعدهم في تقعيد تلك القواعد.

هذا ما يتصل بأسلافنا، أما المحدثون فإن اهتمامهم بدا محدوداً، بدراسة الوقف يدور بين التفصيل، أو الإيجاز والتلخيص لما قاله السابقون مما ورد عند اللغويين وعلماء التجويد والقراءات(١٥)، وعلى الرغم من ذلك فقد تحدث بعض المحدثين عن الوقف على أنه ملمح من ملامح الأداء يحتاج إليه المتكلم في حديثه العادي ويكون له وظائفه، التي تجعل المتحدث يشار إليه بالبنان لحسن وقفاته وسكتاته.

جاء تعريف الوقفات على أنها: "أزمان توقف الكلام، التي تأتي بعد إنهاء جزء من المنطوق، ذي مضمون فكري مستقل إلى حدّ ما"(١٦). وكما فرق أسلافنا بين الوقف والسكت، كذلك نجد عند المحدثين التفريق بين الوقفة، والصمتة، في حين أن الصمتة أقصر زمناً، وأنّها غير مصحوبة بنفس(١٧)، وذلك يلتقي مع تفريق علماء القراءات بين الوقف والسكت، كما أن الصمتة قد تحدث على حدود كلمتين، كما في نطق الخطيب السادس قول الله تعالى: "فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ ϙ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ ϴ "(١٨) (البقرة: ١٩٧)، حيث أحدث صمتة، أو سكتة بعد كلمة (الحج)؛ ليلفت انتباه السامع إلى أهمية ما يأتي بعدها، وقد تحدث الصمتة في داخل الكلمة الواحدة، كما في نطق الخطيب الأول لقول الله عز وجل: "وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْـــ ϙ غَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ϴ"(١٩) (الأعراف: ١٨٨)، فقد أحدث الصمتة في داخل كلمة (الغيب)، وهذا عيب أدائي قد انتشر على ألسنة المذيعين، ومقدمي نشرات الأخبار في الإذاعة والتلفاز، حتى أصبح يشكل عادة نطقية، فهي من قبيل الخطأ اللغوي الشائع.

وصنع المحدثين هذا محمود في ذاته، وغير محمود في الاكتفاء به، والوقوف عنده، وعدم إكمال مسيرته العلمية، ومن هنا، فإن علينا اليوم مع توافر الوسائل العلمية، والتقنيات الحديثة، ومع تطور مناهج البحث أن نقوم بدراسة الوقفات، وغيرها من عناصر الأداء دراسة معملية تجريبية، لنستجلي وظائفها ودورها في كل فن من فنون القول المتنوعة.

وتأتي هذه الدراسة محاولة جادة لدراسة الوقفات في إطار ضيق من أُطر اللغة العربية، ألا وهو الجملة الشرطية في فن الخطابة؛ للكشف عن

دورها في الأداء، ووظائفها التي تقوم بِها، ومعرفة ما إذا كان للوقفات نظام تسير عليه في لغتنا العربية، أو أن المسألة خلاف ذلك؟

المحور الثاني: وظائف الوقف في الجملة الشرطية

المتكلم البارع هو الذي يستطيع أن يوظف الوقفة في كلامه، بحيث تؤدي دلالة ما – علاوة على كونها محطة استراحة وتنفس له – وعلى هذا الأساس كانت نظرة العلماء للوقفة على أنّها ملمح من ملامح الأداء، وبعبارة أخرى: يمكن أن تكون فونيماً من الفونيمات فوق التركيبية Supra Segmental Phonemes.

والخطابة ميدان واسع يحتاج الخطيب فيها أن يوظف وقفاته، بما يخدم الخطبة، وبما يؤثر على السامعين، فيجعلهم يتفاعلون معه، ويتصلون مع معانيه وأفكاره، ويتلقونها تلقياً خاصاً، ومن خلال الدراسة السمعية تبين أن معظم الخطباء في أغلب الخطب المدروسة قد وظّفوا الوقفات توظيفاً متنوعاً – كما سيأتي – وقد أضفى هذا على أدائهم الخطابي جمالاً وحسناً، وأعطاه القدرة على التأثير، فتخالط المعاني والأفكار شغاف القلوب، وتقع في الأذهان وقوعاً حسناً، ويمكن بيان وظائف الوقفات في الجملة الشرطية في الأداء الخطابي على النحو الآتي:

١- الوظيفة الفسيولوجية:

إن عملية التنفس لا تتوقف لدى المتكلم، وكلما انتهى الهواء في الرئتين عن طريق الضغط عليهما، من قبل الحجاب الحاجز من أسفل، والقفص الصدري من أعلى، ضغطات محسوبة بطريقة هندسية دقيقة؛ من أجل إخراج دفعات هوائية مقننة حسب المقاطع الصوتية التي سينطقها المتكلم في كلامه – كلما انتهى الهواء في الرئتين – احتاج المتكلم إلى هواء جديد يملأ به الرئتين؛ لتستمر عملية الكلام على نحو ما سبق، وهنا يحدث الشهيق، وهكذا تستمر عملية الكلام، وعملية التنفس، وبدون ذلك

يعجز الإنسان عن الكلام، من هنا كانت أولى وظائف الوقفات: توفير الطاقة على إحداث وقفات على مسافات معينة؛ من أجل الاستراحة والتنفس، وكلما نجح المتكلم في تنسيق هذه الوقفات بما لا يرهق جهاز تنفسه، تمكّن من الأداء الجيد.

٢- تقسيم الكلام إلى مجموعات كلامية:

المتكلم لا يأتي كلامه دفعة واحدة، وإنّما يأتي في صورة مجموعات، قُسّمت على أساس التنفس، ومن ثَمّ سُميت مجموعات نفسية، والوقفة هي الأداة الوحيدة التي تمكنه من هذا التقسيم، ينضاف إلى ذلك مراعاة المتكلم لخط المعنى، فيوائم بين المجموعات النفسية، وما تحمله من دلالات، ومن ثَمَّ فإن هذه المجموعات النفسية تسمى مجموعات كلامية. وهذه الوظيفة مما تنفرد به الوقفة، فلا يمكن للسكتة أو الصمتة – مثلاً – أن تصنع مجموعات كلامية.

وعن طريق هذه المجموعات – إذا ما تم تقسيمها بطريقة دقيقة – يمكن للوقفات أن تقوم بوظائفها المتنوعة الأخرى، بما ينعكس على الأداء، فيتحقق له الجمال والجودة، والفهم والإفهام بصورة واضحة. ويمكن توضيح ذلك بالمقارنة بين أدائين: أحدهما قُسم فيه الكلام إلى مجموعات كلامية تقسيماً جيداً، فانعكس ذلك على الأداء بعامة، والمعنى بخاصة، وثانيهما قُسم فيه الكلام إلى مجموعات كلامية تقسيماً أقل جودة، مما أخل بالأداء، ومن ثم بالمعنى. مثال الأول: الجمل الشرطية (١٦-١٧-١٨):

"مَنِ اتَّقَى اللهَ حَفَظَهُ وَوَقَاهْ O"

"وَمَنْ سَأَلَهُ مَنَحَهُ وَأَعْطَاهْ O"

"وَمَنَ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَآوَاهْ O"[٢٠]

فالوقفة في نهاية كل جملة شرطية قد جاءت ذات موقع جيد، حققت عنصر التقسيم لكلام الخطيب، وساعدت – مع بقية عناصر الأداء – على جعل الجملة الأولى بمثابة وحدة إيقاعية تتكرر في الجملتين الثانية والثالثة، وفصّلت – مع ذلك – المعنى الكلي العام لهذا الكلام إلى ثلاث وحدات دلالية، لكل منها استقلالها النسبي.

ومثال الثاني: قول الخطيب الثالث: "لَوْ قُمْتَ فِي العِبَادَةْ O قِيَامَ السَّارِيَةْ O مَا نَفَعَكْ O حَتَّى تَنْظُرَ مَا دَخَلَ بَطْنَكْ O"[٢١] فلم يوفق الخطيب في اختيار الموقع المناسب لبعض وقفاته في هذه الجملة، فالوقفة الأولى كان الأفضل الاستغناء عنها؛ لحاجة المعنى إلى ما بعدها، فهو مفعول مطلق لفعل الشرط، يبين نوعه، فالفصل بينهما أضرّ بالمعنى، والوقفة الثالثة تُوهم السامع بنفي المنفعة مطلقاً، وعدم جدوى طول العبادة، وكان الأَوْلى أن يجعلها بعد (حَتَّى تَنْظُرَ)، فيشوق السامع، ويشد انتباهه إلى مفعول الفعل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يخدم المعنى بضم (حَتَّى تَنْظُرَ) إلى الفعل المنفي (مَا نَفَعَكْ)، فيدفع عن السامع التوهم السابق. وعلى ذلك؛ فإن الوقفات لو وُظّفت هنا توظيفاً دقيقاً على نحو ما سبق، لكان لدينا ثلاث وقفات بدلاً من أربع هكذا: "لَوْ قُمْتَ فِي العِبَادَةِ قِيَامَ السَّارِيَة O مَا نَفَعَكَ حَتَّى تَنْظُر O مَا دَخلَ بَطْنَكْ O".

وقد يجمع المتكلم بين الأدائين، فيشتمل الكلام على وقفات جيدة الموقع، ووقفات ذات موقع غير جيد، تسيء إلى المعنى أكثر مما تنفعه، ومن الأمثلة على ذلك: الجملة (٨٣): "أما بعد O فيا أيها الناسْ ٤ O بالنكاح ٥ O يلتئم الشعثْ ٦ O وتسكن النفسْ ٧ O ويطمئن القلبْ ٨ O ويستريح الضمير O من تعب التفكير O ويحسن الولد O ويعمر البيت O وتتم به نعمة الله على الزوجين O" [٢٢]، فلقد اشتملت على (١١)

إحدى عشرة وقفة، وُفّق الخطيب في جميعها، فأفادت المعنى بياناً، وزادته جمالاً وحسناً، عدا الوقفة السابعة فلم يوفق الخطيب فيها؛ فما بعد الوقفة (من تعب الضمير) تابع لما قبله في المعنى، ولعل صنيعه هذا قد راعى فيه الوحدة الإيقاعية أكثر من مراعاته للمعنى.

٣- الدلالة على الانتهاء وعدمه.

حينما يقف المتكلم وقفة بعد إنهاء كلامه فإن السامع يحس بأحد أمرين: إما أن الكلام قد انتهى بتلك الوقفة، فليس بعده ما يتعلق به، أو أن الكلام لم يتم بعد، وما بعد الوقفة متعلق بما قبلها، فكأن المتكلم بوقفته تلك قال لسامعه: انتظر، وتسمى الوقفة في الأمر الأول بالوقفة المنتهية وفي الثاني بالوقفة غير المنتهية.

وللتفريق بين هذين النوعين فقد أجريت التجارب النطقية، من خلال نطق الخطباء، وتم تحليلها على جهاز السوناجراف، ويمكن الاكتفاء هنا بعرض نموذجين من صور التحليل، التي تشتمل على النوعين، وسوف يتم التركيز في توصيف هذين النموذجين على عنصرين:

الأول: الوقفة باعتبار زمنها.

الثاني: الكلمة الموقوف عليها على المستوى الفسيولوجي، والمستوى الفيزيائي، والمستوى الأدائي.

ويمكن عقد المقارنة بين الوقفة غير المنتهية، والوقفة المنتهية في النموذجين على النحو الآتي:

١- النموذج الأول:

- المثال: "مُحَمّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى التّسْلِيمْ O نَعَمْ O إنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ العَظِيمةِ عَلَيْنا .."[٢٣]

في المثال وقفتان، الأولى منهما منتهية، والثانية وقفة غير منتهية، بالمقارنة بينهما يظهر الآتي:

١- الوقفة باعتبار زمنها:

جاءت الوقفة غير المنتهية أقصر زمناً من الوقفة المنتهية، حيث بلغ الكم الزمني للأولى ٠.٦٠٠٠ من الثانية، وللثانية ١.٦٣٧ من الثانية.

٢- الكلمة الموقوف عليها:

أ- الجانب الفسيولوجي:

لوحظ من خلال الدراسة السمعية أن الخطيب قد زاد في النشاط النَفَسي والعضلي في أعضاء نطقه عندما وقف الوقفة غير المنتهية، بعد كلمة (نعم)، بينما قلّ نشاطه النَفَسي والعضلي في أعضاء النطق حينما وقف الوقفة المنتهية، بعد كلمة (التسليم).

ب- الجانب الفيزيائي:

بالنظر في صورة التحليل رقم (١) يتضح الآتي:

١- **الشدة**: جاءت الشدة أقوى، قد تجاوزت المربع الثاني في الوقفة غير المنتهية، بينما ضعفت الشدة، فجاءت منتصف المربع الثاني في الوقفة المنتهية.

٢- **درجة السواد**: جاءت درجة السواد أقوى، وأشد في الكلمة الموقوف عليها مع الوقفة غير المنتهية، على حين أنّها جاءت أضعف في الكلمة الموقوع عليها مع الوقفة المنتهية.

٣- **الدرجة**: جاءت الدرجة عالية، فكانت فوق الشكل الموجي في الوقفة غير المنتهية، بينما انخفضت في الوقفة المنتهية، فلم تظهر في صورة التحليل.

٤- **الشكل الموجي**: جاء الشكل الموجي مع الوقفة غير المنتهية أكبر، فذبذباته كثيرة العدد عالية الشدة، بخلاف الشكل الموجي مع الوقفة المنتهية، فقد جاء أصغر؛ لقلة ذبذباته، وانخفاض شدتها.

٥- **العنصر الزمني**: يختلف العنصر الزمني للأصوات في النوعين، فهو في الوقفة المنتهية أقصر منه في غير المنتهية، فزمن الكلمة الموقوف عليها وقفة منتهية قد جاء ١.٢٢٥ من الثانية، وعدد فونيماتها (١٣) ثلاثة عشر فونيماً، وبذلك يكون زمن الصوت ٠.٠٩٤ من الثانية، أما زمن الكلمة الموقوف عليها وقفة غير منتهية قد جاء ٠.٧٥٦٢ من الثانية، وعدد فونيماتها (٥) خمسة فونيمات، وبذلك يكون زمن الصوت ٠.١٥١ من الثانية.

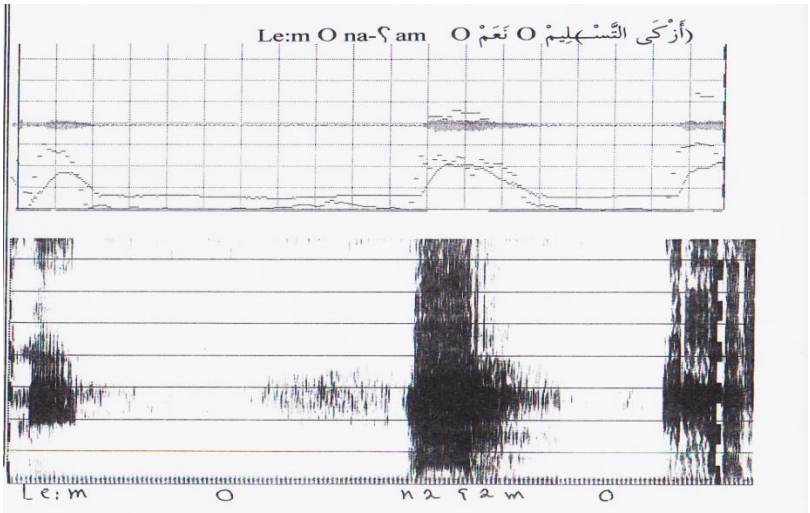

صورة رقم (١)

ج- الجانب الأدائي:

تتفوق العناصر الأدائية بشكل عام مع الوقفة غير المنتهية عليها مع الوقفة المنتهية هكذا:

- **النبر: جاء أبرز؛ بناء على اتساع مدى الشدة مع الوقفة غير المنتهية، أما الوقفة المنتهية فإن النبر جاء معها أقل بروزاً؛ بناء على صغر مدى الشدة.**
- **التنغيم: جاء أكثر بروزاً وظهوراً في الوقفة غير المنتهية، على حين أنه في الوقفة المنتهية لم يظهر شكله في صورة التحليل؛ لقلة الذبذبات، وانخفاض شدتها.**
- **التزمين: جاء في الوقفة غير المنتهية أبطأ – بشكل ملحوظ – منه في الوقفة المنتهية، فهو في الأولى (٦.٦١ ف/ث)، وفي الثانية (١٠.٦١ ف/ث).**

٢- النموذج الثاني:

- **المثال: "... وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ O وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ O" [٢٣]**
- **المثال: "... وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهْ O دَخَلَ الجَنَّةْ O" [٢٤]**

في المثال وقفتان، الأولى منهما غير منتهية، والثانية منتهية، وبالمقارنة بينهما يتضح الآتي:

١- الوقفة باعتبار زمنها:

جاء الكم الزمني للوقفة المنتهية أطول منه في الوقفة غير المنتهية، فقد بلغ في المنتهية ٠.٤٢٥٠ من الثانية، وفي غير المنتهية ٠.٣٠٠٠ من الثانية.

٢- الكلمة الموقوف عليها:

أ- الجانب الفسيولوجي:

ثبت من خلال الدراسة السمعية أن النشاط النَفَسي والعضلي في أعضاء النطق يزداد في الوقفة غير المنتهية، ويقل في الوقفة المنتهية.

ب- الجانب الفيزيائي:

بالنظر في صورة التحليل رقم (٢) يتّضح الآتي:

١- الشدة: مع الوقفة غير المنتهية جاءت الشدة أقوى، وصلت بعض القمم إلى نهاية المربع الثاني، وذلك في المقطع المنبور، أما مع الوقفة المنتهية فقد كانت الشدة أضعف، فقد جاوزت بعض القمم المربع الأول قليلاً.

٢- درجة السواد: مع الوقفة غير المنتهية جاءت درجة السواد أقوى، في الكلمة الموقوف عليها، بينما جاءت أضعف، في الكلمة الموقوف عليها مع الوقفة المنتهية.

٣- الدرجة: في الوقفة غير المنتهية جاءت الدرجة عالية، اقتربت من الشكل الموجي، بينما انخفضت في الوقفة المنتهية، فلم تظهر في صورة التحليل.

٤- الشكل الموجي: جاء الشكل الموجي أكبر مع الوقفة غير المنتهية منه مع الوقفة المنتهية؛ وذلك لكثرة الذبذبات، وعلو الشدة في الأولى، وقلة الذبذبات وانخفاض الشدة في الثانية.

٥- العنصر الزمني: يختلف العنصر الزمني للأصوات في النوعين، فهو في الوقفة غير المنتهية أطول منه في المنتهية، فزمن الكلمة الموقوف عليها وقفة غير منتهية قد جاء ٠.٨٥٦٢ من الثانية، وعدد

فونيماتها (١٠) عشرة فونيمات، وبذلك يكون زمن الصوت ٠.٠٨٦ من الثانية. أما زمن الكلمة الموقوف عليها وقفة منتهية قد جاء ١.٠٤٤ من الثانية، وعدد فونيماتها (١٣) ثلاثة عشر فونيماً، وبذلك يكون زمن الصوت ٠.٠٨٠ من الثانية.

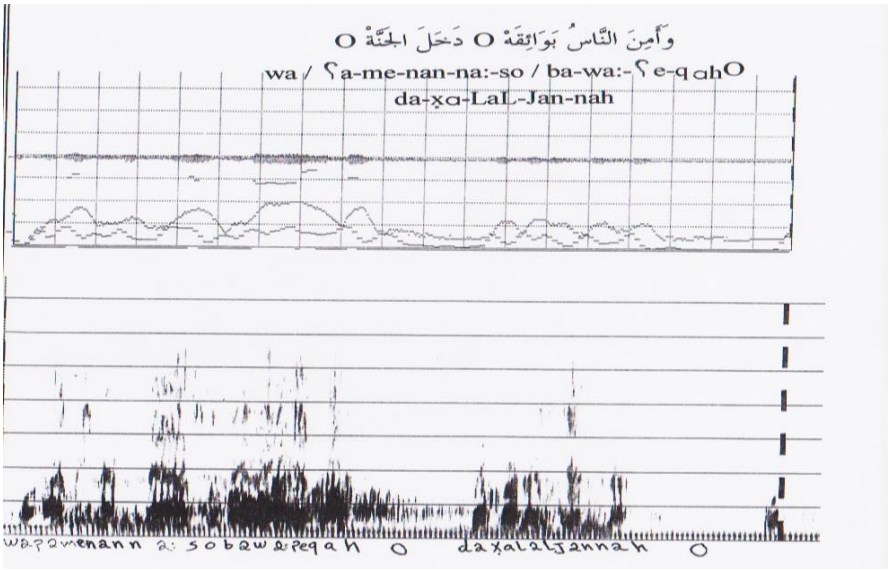

صورة رقم (٢)

ج- الجانب الأدائي:

جاءت العناصر الأدائية – بشكل عام – مع الوقفة غير المنتهية أبرز منها مع الوقفة المنتهية، هكذا:

- **النبر**: برز – بشكل واضح – في الوقفة غير المنتهية؛ بناء على سعة المدى وخاصة في المقطع المنبور، أما الوقفة المنتهية فكان أقل بروزاً؛ بناء على صغر المدى.
- **التنغيم**: أوضح في الوقفة غير المنتهية، حيث ظهر في صورة التحليل، بخلاف المنتهية فإنه لضعفه لم يظهر في صورة التحليل.

- **التزمين**: جاء في الوقفة غير المنتهية أبطأ منه في الوقفة المنتهية، فهو في الأولى (١١.٦٨ ف/ث)، وفي الثانية (١٢.٤٥ ف/ث).

ويمكن من خلال هذه المقارنة بين الوقفة المنتهية وغير المنتهية استخلاص ملامح عامة تميز كلا النوعين، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١)

عناصر المقارنة	الوقفة غير المنتهية	الوقفة المنتهية
١- الوقفة باعتبار زمنها	أقصر زمناً	أطول زمناً
٢- الكلمة الموقوف عليها:	يزداد النشاط النَفَسي والعضلي في أعضاء النطق	يقلّ النشاط النَفَسي والعضلي في أعضاء النطق
أ- فسيولوجياً		
ب- فيزيائياً:	أقوى شدة	أضعف شدة
١- الشدة	أكثر سواداً	أقلّ سواداً
٢- درجة السواد	عالية	منخفضة
٣- الدرجة	أكبر	أصغر
٤- الشكل الموجي	أطول	أقصر
٥- العنصر الزمني		
ج- أدائياً:	أكثر بروزاً	أقلّ بروزاً
١- النبر	أكثر ظهوراً	أقلّ ظهوراً
٢- التنغيم	أبطأ	أسرع
٣- التزمين		

وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الملامح للوقفة غير المنتهية قد أشار ابن جني إليها عند حديثه في باب مطل الحروف بقوله: "وإنّما مطلت ومدت هذه الأحرف [حروف المد] في الوقف وعند التذكر، من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة، ولا ممكنة المد ..."(٢٥) فقوله "غير ممطولة ولا

ممكنة المدة" يدل على أن الوقفة هنا وقفة غير منتهية، يطيل المتكلم في العنصر الزمني للكلمة الموقوف عليها، ويبرز الشدة فيها. وهذا ما يتفق مع ما توصلت إليه الدراسة المعملية في هذا البحث.

وفي مادة هذا البحث وجد أن الوقفات التالية للجملة التي افتتحت بها الخطب هي وقفات غير منتهية، فالخطيب بوقفته يطلب من السامعين الانتظار، والإنصات للآتي ذكره، فكأنّها وقفات استهلالية، كذلك الوقفات التي جاءت بين جملة الشرط وجملة الجواب هي وقفات تدل على عدم الانتهاء – غالباً – أراد الخطباء بها تعليق أذن السامع، وتشويقه إلى الجواب، مثال ذلك: الجملة (٢٦٣): " (فَـ) إِذَا حَفِظْنَا دِينَنَا O حَفِظَ اللهُ لَنَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا O."أ[٢٦]. أما الوقفات التي كانت تأتي نهاية الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة – التي تمثل جملاً شرطية – فهي وقفات منتهية، يدل أداء الخطيب لها على الانتهاء، مثال ذلك: الجملة (٢٠٢): "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ O فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ O مِنْ النَّبِيّينَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً O"أ[٢٧] (النساء: ٦٩)، وكذلك الجملة: (٢٢٢): "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهْ O دَخَلَ الجَنَّةْ O"أ[٢٨].

وقد لوحظ من خلال الدراسة السمعية أن الخطباء – في الأعم الأغلب – قد التزموا أداء هذه الوظيفة، وحققوها، فجاءت الوقفات عندهم دالة على الانتهاء أو عدمه، مع ملاحظة أن عدد الوقفات الدالة على الانتهاء في الأداء الخطابي يكون أقلّ عدداً من الوقفات الدالة على عدم الانتهاء، والسبب في ذلك هو أن الخطيب يتعامل مع الجمل الواردة في خطبته على أنّها وحدة واحدة، من أول الخطبة إلى آخرها، فالوقفة وإن كانت منتهية إلا أن الذي استقر في وعيه، وإحساسه أن الكلام لم يتم بعد،

وعليه أن ينتقل من جملة إلى جملة، ومن وقفة إلى وقفة، ومن هنا، فإن إدراك الملامح التشخيصية للوقفة المنتهية وغير المنتهية أمرٌ صعبٌ نوعاً ما.

٤- الوظيفة الدلالية:

المتكلم حينما يجعل الوقفة نهاية كلامه وقفة غير منتهية، فإن عدم الانتهاء هذا يحمل دلالة ما، فقد يراد بالوقفة تعليق أذن السامع، ولفت انتباهه لأهمية الآتي ذكر، كما في الوقفة بعد (أَمَّا بَعْدْ O) في معظم جمل هذا السياق الشرطي، ومن أمثلة ذلك: الجملة (٩٠): "أَمَّا بَعْدْ O فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلّ O"[٢٩].

وقد يراد بالوقفة إفادة العدّ والسرد، كما في الجملة (١): "أَمَّا بَعْدْ O فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّها النَّاس O اتَّقُوهُ فِيّ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ O اتَّقُوهُ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ O اتَّقُوه فِيمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونْ O"[٣٠]، فالخطيب الثالث في الجملة السابقة أدّى المجموعات الثلاث الأخيرة أداء يشبه أداء العدّ والسرد، يحسه السامع، ويجده الدارس لها على مستوى العناصر الأدائية، بما فيها الوقفات:

- فالنبر والتنغيم في كلمات هذه المجموعات الثلاث جاء متقارباً، كأن الخطيب يسير فيها على وتيرة نبرية، وتنغيمية واحدة، وهذا ما يتضح من صور التحليل رقم (٣)، (٤)، (٥).

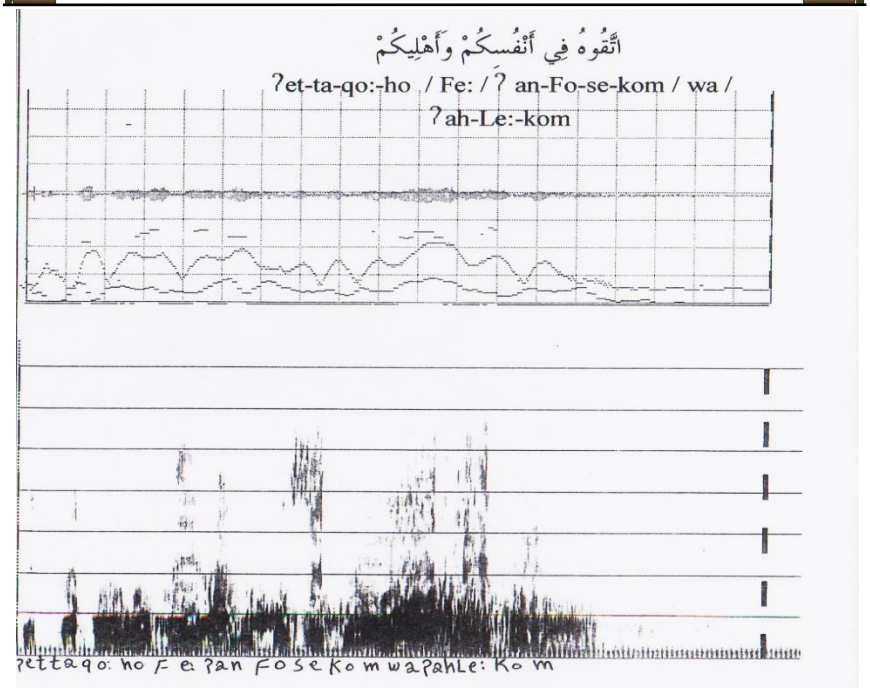

صورة رقم (٣)

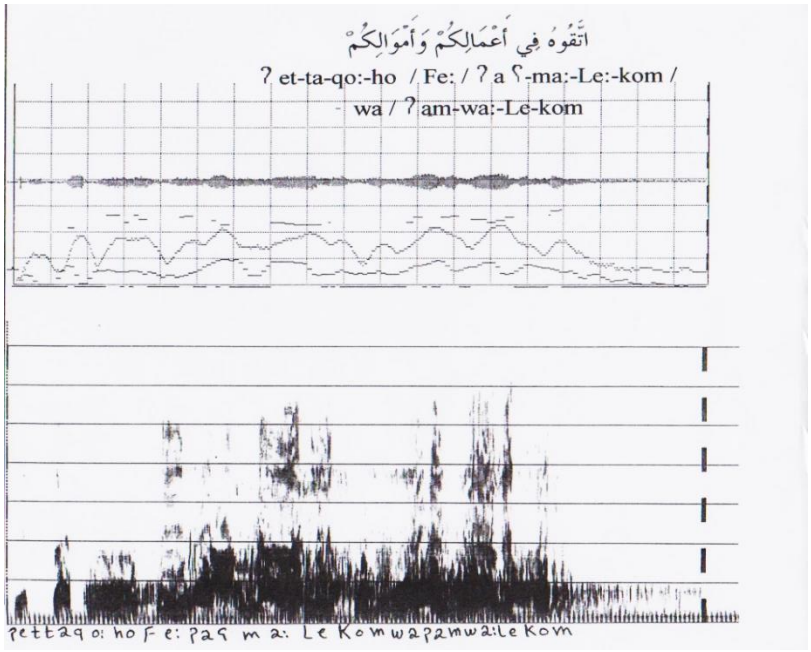

صورة رقم (٤)

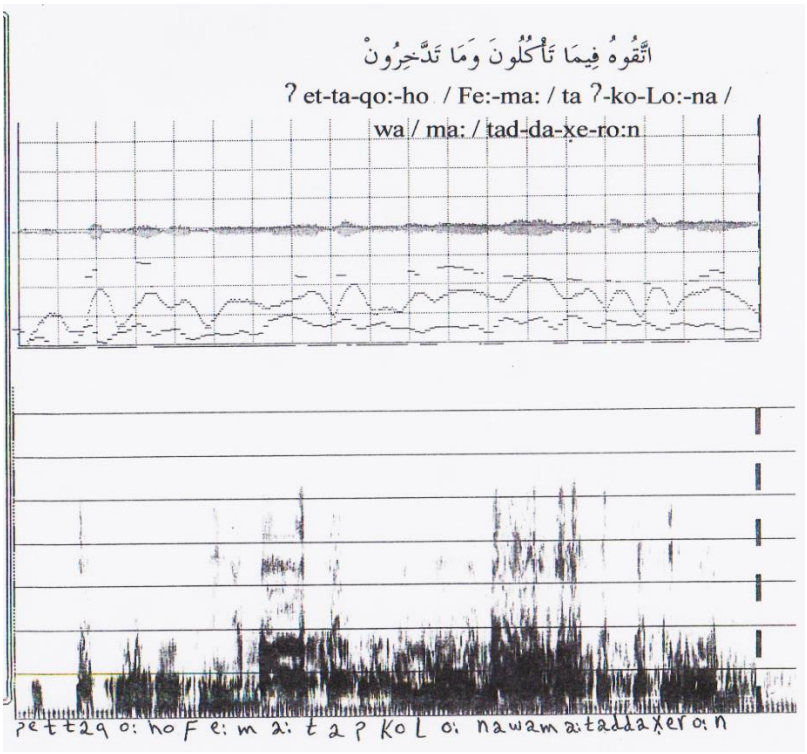

صورة رقم (٥)

- والتزمين كذلك جاء متقارباً في المجموعات الثلاث، هكذا:

المجموعة	معدل النطق ف/ث
٣	١٢.٠٧
٤	١١.٩٩
٥	١٢.٢٦

-

- والوقفات أيضاً جاءت متقاربة الكم الزمني، هكذا:

الوقفة	الكم الزمني
الثالثة	٠.٩٢٥٠
الرابعة	٠.٩٨١٢
الخامسة	٠.٨٥٦٢

وهكذا تشترك الوقفات مع العناصر الأدائية الأخرى كالنبر والتنغيم والتزمين في تشخيص أداء العد والسرد وتمييزه، وقد يراد بالوقفة تأكيد الكلام، ويكون ذلك بالنسبة لما سيأتي بعد الوقفة، كما في الجملة (١٨٣): "من نزل منزلاً O ثم قال O أعوذ بكلمات الله التامات O من شر ما خلق O لم يضره شيء O" [٣١]. فوقفة الخطيب الأول قبل ذكر الجار والمجرور، في قوله (مِنْ شَرِّ مَا خَلَق O)؛ للتأكيد على أهمية هذا الجار والمجرور، ولفت انتباه السامع إليه.

وقد يكون التأكيد للكلمة الموقوف عليها، وهذا واضح في معظم الوقفات التي أحدثها الخطباء بعد الشرط، تأكيداً منهم على أهمية جواب الشرط الآتي ذكره.

٥- الوظيفة الدلالية:

إن العناصر الأدائية من النبر، والتزمين، والطول، والتنغيم، والإيقاع، والوقفات تشترك جميعا في تكوين الأداء المطلوب حسب سياق الموقف وظروفه، وقد تتبادل المواقع؛ بمعنى أن الوظيفة البارزة في الأداء قد تكون للنبر، أو للتزمين، أو لغيرهما، ولكنها في الحقيقة تكون نتيجة التعاون بين عناصر الأداء المتعددة والتأثير المتبادل بينها.

لذا، فإن البحث عن الوظيفة الأدائية لأي عنصر من عناصر الأداء يجب ألاّ يغفل دور العناصر الأخرى، وتتضح الوظيفة الأدائية للوقفات من خلال علاقتها بالعناصر الأدائية على النحو الآتي:

أ- علاقتها بالنبر: [٣٢]

إن سقوط الحركة الإعرابية من آخر الكلمة بسبب الوقف، قد يترتب عليه انتقال النبر من موقعه، بسبب اختلاف التركيب المقطعي للكلمة في حالة الوقف عنها في حالة الوصل، كما في كلمة: (عَليمٌ a – Li:- ʔmon)، فقد انتقل النبر من المقطع قبل الأخير (Li:) قبل الوقفة، إلى المقطع الأخير (عَلِيمْ ʔa – Ĺi:m) بعد الوقفة.

يضاف إلى ذلك: أن الوقفة، أو السكتة تكون – أحياناً – وسيلة مساعدة لإبراز النبر، وذلك كما في نطق الخطيب الثاني لكلمة (تُحَطْ to- ḥaṭ) في الجملة (٥٧): "فَإِنْ لَمْ تُحَطْ O وَتُحْفَظْ بِتَقْوى الله ضَاعَتْ O"[٣٣] فالسكتة التي أحدثها الخطيب بعد كلمة (تُحَطْ) – كما ظهر من صورة التحليل رقم (٦) – ساعدت على إبراز المقطع المنبور (ḥaṭ) فيها – بشكل واضح – مع ملاحظة انتقال النبر من موضعه الأصلي في الكلمة، وهو المقطع قبل الأخير (to) حسب قواعد النبر، لكن الخطيب أراد لفت السامع، وتعليق أذنه، فجعلها سكتة، فجاء التركيز كله على المقطع الأخير، ومن وسائل هذا التركيز: انتقال النبر من المقطع الأول في الكلمة إلى المقطع الأخير فيها.

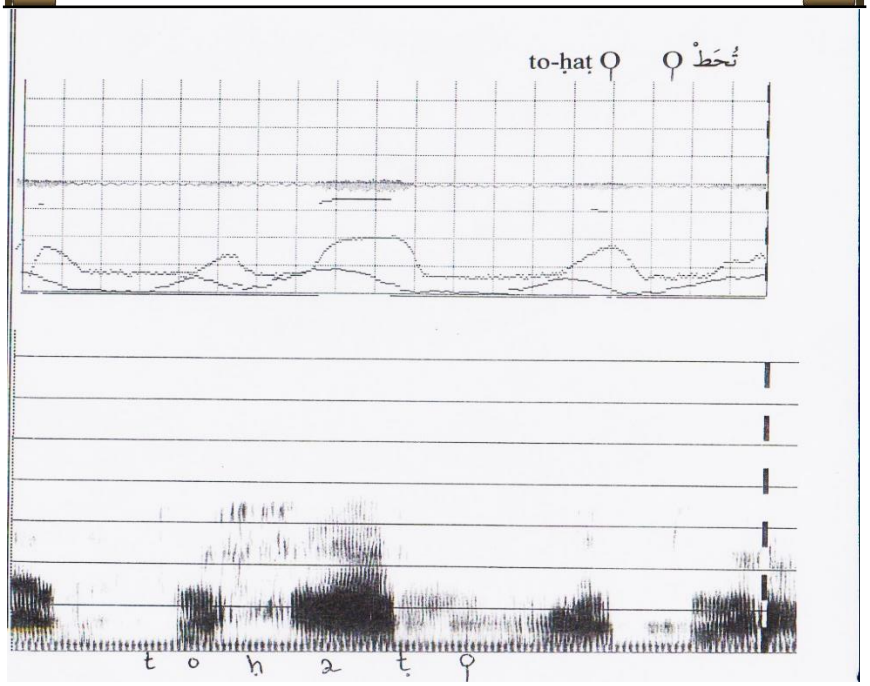

صورة رقم (٦)

وتظهر علاقة الوقفات بالنبر – كذلك – فيما يتصل بنبر الجملة، أو نبر المجموعة؛ وذلك أن الخطيب الذي يريد تحقيق الإجادة والحسن لأدائه، والتأثير لكلماته وجمله يحرص على استخدام الوقفات؛ لتقسيم كلامه إلى مجموعات كلامية قصيرة، تمكّنه من إحداث نبر المجموعة في كل مجموعة من هذه المجموعات، وبذلك يتمكّن أولاً من زيادة نبر المجموعة في كلامه، وثانياً من تأكيد المعاني التي يحرص على نقلها إلى السامع. فمثلاً: الجملة (١٥٩): "مَنْ لاَذَ بِهِ حَمَاهْ O وَأَسْعَدَهُ وَلاَ أَشْقَاهْ O"[٣٤] فلو أن الخطيب نطقها في مجموعة نفسية واحدة لاشتملت على نبر مجموعة واحد، ولانحصرت فرصة الخطيب في التأكيد على أكثر من جزء من كلامه في موضع واحد، وهو الذي يحمل نبر المجموعة، لكن نطق الخطيب للجملة السابقة في مجموعتين نفسيتين بواسطة الوقفة،

مكّنه من الحصول على نبري مجموعة، لكل مجموعة نَفَسية نبرها الخاص، وبذلك أتيحت للخطيب فرصة التأكيد على أكثر من جزء في جملته هكذا:

مَنْ لاَذَ بِهِ حَمَاهْ O وَأَسْعَدَهُ وَلاَ أَشْقَاهْ O

نبر المجموعة نبر المجموعة

ب- علاقتها بالتزمين: (٣٥)

تتجلى العلاقة بين الوقفات والتزمين من خلال الحديث عن العنصر الزمني في الوقفات، أي الكم الزمني لها من جانب، وعن عدد الوقفات في الكلام من جانب آخر، وهل للتزمين دور فيهما؟

بالنسبة للعنصر الزمني في الوقفات، فإنه من المقرر أن الوقفات يختلف كمّها الزمني، فقد تكون طويلة، أو قصيرة، أو متوسطة، وهنا يبرز السؤال: ما العوامل التي تؤدي إلى اختلاف الكم الزمني للوقفات؟

من خلال الدراسة السمعية والمعملية وجد أن الكم الزمني للوقفات يتأثر – طولاً أو قصراً – بثلاثة عوامل:

الأول: شخصية المتكلم التي تعد عاملاً مؤثراً في الوقفات، فتكون وقفات المتكلم الذي يميل إلى الهدوء وبطء الحركة، ذات كم زمني كبير، وعلى العكس من ذلك، فإن المتكلم الذي يتسم بالعجلة وسرعة الحركة فإن وقفاته تكون قصيرة.

وبالتدقيق في الوقفات الواردة عند جميع الخطباء؛ من أجل الكشف عن هذه العلاقة، تبين أنه لا يمكن تحديدها؛ لأن المعرفة بشخصية كل خطيب غير متوفرة، وكل ما توافر عنها مجرد توقعات مستخلصة من خلال أداء كل منهم، وهذا غير كاف للكشف عن العلاقة بين الوقفات

والشخصية. ولكن أمكن التغلب على ذلك من خلال العامل الثاني الآتي ذكره وبيان علاقة الوقفات بالشخصية.

والعامل الثاني: التزمين: الوقفات الأداة الأولى في تقسيم الكلام إلى وحدات، أو مجموعات نفسية، بحيث يتلاءم مع خط المعنى، فيتحقق للأداء حسنه، وللكلام وضوحه. والعنصر الزمني هو الجامع بين الوقفات والتزمين، وقد تبين أن التزمين عامل مؤثر في الكم الزمني للوقفات، فإذا كان تزمين الكلام بطيئاً كان الكم الزمني للوقفات كبيراً، وعلى العكس إذا كان التزمين سريعاً، فإن الوقفات تكون ذات كم زمني أصغر، ومن الأمثلة على ذلك:

* الجملة: (٤٩): "وَاسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِ رَبِّكُم O تصْلح أَحْوَالَكُم O وَتحْفظ هَيبَتكُم O وَيَتَحَقّق عِزّكُم O"[٣٦].

يميل التزمين في هذه الجملة إلى التزمين السريع، فقد جاء معدلها (١٤.٧١ ف/ث)، وجاءت الوقفات فيها قصيرة الكم الزمني، هكذا:

الوقفة	الكم الزمني من الثانية
الأولى	٠.٢٤٣٧
الثانية	٠.٣٠٦٢
الثالثة	٠.٢٦٢٥
الرابعة	٠.٢٨٧٥

وهذا القصر في زمن الوقفات متناسب مع التزمين السريع الذي جاءت الجملة عليه.

* الجملة (١٤٩): "مَنْ فَقَدَهْ O فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتْ O"[٣٧]

أطال الخطيب السادس في الكم الزمني للوقفتين، هكذا:

الوقفة	الكم الزمني من الثانية
الأولى	٠.٦٠٦٢
الثانية	١.٣٥٠

وإنما جاءت الوقفة الأولى أقلّ زمناً من الثانية؛ لأن الأولى فصلت بين الشرط والجواب، فهي وقفة في داخل الجملة، والثانية فصلت بين جملتين، فهي وقفة خارج الجملة، وعلى الرغم من ذلك، فقد جاء طول الوقفتين – بشكل عام – متناسباً مع التزمين الذي جاءت عليه الجملة، حيث بلغ معدلها (٨.٤٧ ف/ث).

ومما يؤكد العلاقة القوية بين التزمين والكم الزمني للوقفات ما يلاحظ في جمل القسم الثاني من الخطبة، تلك الجمل التي يتسم التزمين فيها بالإسراع غالباً، حيث تم استقراء جميع الأكمام الزمنية للوقفات في هذه الجمل، ووجد أن جميع الوقفات فيها ذات كم زمني قصير، وهذا ما يتناسب مع التزمين السريع في هذه الجمل، ولم يشذ عن هذا الحكم إلا بعض الجمل، التي كان مضمونها الحث على الصلاة على المصطفى المختار محمد بن عبد الله ﷺ فقد جاء تزمينها سريعاً، والوقفات فيها ذات كم زمني كبير، ولعل السبب في تخلف التلازم بين التزمين والوقفات هنا هو أن الخطيب أراد بإطالة الكم الزمني للوقفة أن يعطي السامعين فرصة الصلاة على رسول الله ﷺ؛ لينالوا أجرها.

فمثلاً:

* الجملة (١٣١): "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً"(٣٨)

جاءت الوقفة فيها طويلة بشكل واضح، حيث بلغ الكم الزمني للوقفة (١.١٨١)، وجاء المعدل العام للجملة (١٣.٥٢) ف/ث.

هذا على الرغم من التزمين السريع الذي زاد الإحساس بطول الوقفة، والسبب في سرعة التزمين هنا: أن المقام مقام إنهاء للخطبة، يضاف إلى ذلك أن مضمون هذه الجملة ليس أمراً جديداً ينقله الخطيب إلى السامعين، وإنما هو أمر يعرفونه مسبقاً، ويحفظونه، وهو قائم بِهم، فأدى كل هذا إلى الإسراع في التزمين.

ويمكن عقد المقارنة بين التزمين والوقفات عند كل خطيب؛ ليتضح مدى التلازم بينهما، ولكي تتم هذه المقارنة فلابد من الحصول على المتوسط العام لزمن الوقفة عند كل خطيب على حدة، وقد أمكن ذلك بجمع أزمان الوقفات الواردة عند كل خطيب في جمل القسم الأول، ثم قسمتها على عدد الوقفات. والجدول الآتي يتم فيه وضع المتوسط العام لزمن الوقفة عند كل خطيب أمام متوسط المعدل العام لتزمينه لتسهل المقارنة:

جدول رقم (٢)

الخطيب	متوسط المعدل العام لتزمين الخطيب (ف/ث)	المتوسط العام لزمن الوقفة (من الثانية)
الأول	١١.٣٥	٠.٥٠٥٩
الثاني	١٢.٦٨	٠.٤٨٨٤
الخطيب	متوسط المعدل العام لتزمين الخطيب (ف/ث)	المتوسط العام لزمن الوقفة (من الثانية)

الثالث	١٤.٤٤	٠.٦٠٨٠
الرابع	١١.٣٠	٠.٣٥٩٧
الخامس	١٣.٦٤	٠.٥٠٠٠
السادس	١٠.٣٣	٠.٦٠١٧
السابع	١١.٥٧	٠.٥٩٣٧

بإمعان النظر في هذا الجدول يتضح الآتي:

١- احتل المتوسط العام لزمن الوقفة عند جميع الخطباء مجالاً يتراوح بين ٠.٣٥٩٧ من الثانية كحدّ أدنى، وبين ٠.٦٠٨٠ من الثانية كحدّ أعلى.

٢- يمكن تصنيف الوقفات على أساس المتوسط العام لزمن الوقفة عند الخطباء جميعاً إلى ثلاثة أنواع:

١- وقفات قصيرة، وهي التي تبدأ من ٠.٤٠٠٠ من الثانية إلى ما دون ذلك.

٢- وقفات متوسطة، وهي التي تبدأ من ٠.٤٠٠٠ من الثانية إلى ٠.٥٠٠٠ من الثانية.

٣- وقفات طويلة، وهي التي تبدأ من ٠.٥٠٠٠ من الثانية إلى ما فوق ذلك.

٣- جاء التناسب واضحاً بين متوسط المعدل العام للتزمين عند الخطيب الواحد، وبين المتوسط العام لزمن الوقفة عنده، وذلك على الصورة الآتية:

أ- الخطباء الذين يميل تزمينهم إلى الإبطاء جاء المتوسط العام لزمن الوقفة عندهم طويلاً، أو متوسطاً، وهؤلاء هم: الأول – السادس – السابع.

ب-الخطباء الذين يميل تزمينهم إلى التوسط جاء المتوسط العام لزمن الوقفة عندهم متوسطاً كذلك، ويصدق هذا على الخطيب الثاني فقط.

٤- غاب عند بقية الخطباء، وهم: (الثالث – الرابع – الخامس) التناسب السابق بين التزمين والوقفات، ذلك أن الخطيبين الثالث والخامس قد جاء تزمينهم من قبيل التزمين السريع، وكان المتوقع أن يكون المتوسط العام لزمن الوقفة عند كل منهم قصيراً، لكنه جاء كبيراً نسبياً، حيث بلغ على التوالي: (٠.٦٠٨٠ – ٠.٥٠٠٠). أما الخطيب الرابع فتزمينه يميل إلى الإبطاء، ويناسب ذلك الإبطاء أن يأتي زمن الوقفة أكبر مما جاء عليه، وهو: (٠.٣٥٩٧).

٥- قامت الباحثة بدراسة الوقفات عند كل خطيب من هؤلاء الثلاثة على حدة، محاولة تفسير أسباب خروجهم عن ذلك التناسب، وقد تبين الآتي:

أ- بالنسبة للخطيب الثالث الذي تبدو الدقة والمهارة في أدائه، فإن الاتجاه العام لوقفاته في الخطبة هو تطويل زمن الوقفة، وهذا يعد بمثابة اللازمة له، لكنها لازمة ترتبط بشخصيته التي يحرص على الاعتزاز بِها من خلال أدائه: وقد اصطنع في ذلك طول الوقفة، وإسراع التزمين في بعض الجمل، فأدى ذلك إلى النتيجة التي هي أمامنا.

ب- بالنسبة للخطيب الرابع، فإن أداءه جاء مكتملاً في عناصره، صادقاً في انفعالاته، وهذا الصدق ولّد عنده قوة الإحساس، والتجاوب مع المعاني، وهذا بدوره جعل الخطيب يتخذ من كلماته، وجمله وسيلة لتفريغ هذه الشحنة القوية، ونقلها إلى السامعين، ومن ثَمَّ جاء التزمين بطيئاً، وأصبحت الوقفات تمثّل حاجزاً بينه وبين ذلك، وكأنّه أخذ يستحثّ الوقفات على الانقضاء، حتى يستمر مع الكلمات والجمل على النسق الذي بدأ به، فجاءت وقفاته أقصر.

ج- بالنسبة للخطيب الخامس، فإن أداءه الجيد قد جعله يختار التزمين السريع؛ للتعبير عن درجة الانفعال القوية بمعانيه وأفكاره، وقد دفعه الاعتزاز بشخصيته في الأداء أن يطيل من زمن الوقفة إلى حدّ ما، ويستريح فيها من التزمين السريع، فجاء التزمين سريعاً، والوقفات طويلة نوعاً ما.

وعلى ذلك؛ تسلم النتيجة التي توصلت الدراسة إليها، وهي الارتباط والتلازم بين نوعية التزمين وزمن الوقفات، فكلما بطؤ التزمين طال زمن الوقفة، والعكس بالعكس.

والعامل الثالث: وظيفة الوقفة: توظيف الوقفة دلالياً عامل من العوامل التي تؤثر على زمن الوقفة، وهذا ما يلاحظ في الأداء الخطابي في ثنايا الجملة الشرطية، وعلى حدودها، فإذا أراد الخطيب تعليق أذن السامع، ولفت انتباهه فإنه لا يحدث وقفة فحسب، وإنما يحدثها ويطيل في زمنها نوعاً ما؛ حتى يشد السامع إلى كلامه بعد الوقفة.

هذا فيما يتصل بالجانب الأول الخاص بالعنصر الزمني للوقفات، أو الكم الزمني لها، أما الجانب الثاني، والذي يختص بعدد الوقفات في الكلام، فإنه يمكن القول بأن عدد الوقفات في الكلام يرتبط بأمرين:

الأول: التزمين: إن التزمين يلعب دوره في عدد الوقفات، فالتزمين البطيء يشتمل على عدد أكبر من الوقفات، كما في الجملة (٢٥٢): "مَنْ وَقَعَ فِي مَهَاوِي الشِّرْكِ الأَكْبَرْ O فَطَلَبَ مِنَ المَوْتَى زَوَالَ فَقْرٍ أَوْ مَرَضْ O أَوْ طَلَبَ مِنْهُمْ جَلْبَ نَفْعٍ O كَحُصُولِ مَالٍ أَوْ وَلَدْ O أَو اسْتَعَانَ بِأَصْحَابِ الأَضْرِحَةِ وَالمَقْبُورِينْ O أَوْ طَافَ أَوْ نَحَرَ أَوْ نَذَرَ لَهَا O فَقَدْ هَضَمَ جَنَابَ الرّبُوبِيَّةْ O وَتَنَقَّصَ الأُلُوهِيَّةْ O وَأَسَاءَ الظَّنَ بِرَبِّ البَرِيَّةْ O وَارْتَكَبَ أَعْظَمَ ذَنْبٍ عِنْدَ اللهْ O وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ الجَنَّةُ وَخُلِّدَ فِي النَّارْ O"[٣٩] قد جاء المعدل العام لهذه الجملة (١١.٨٤ ف/ث)، وقد اشتملت على إحدى عشرة وقفة.

أما التزمين السريع فالوقفات فيه – غالباً – أقل عدداً، كما في الجملة (٧٠): "إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَة أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله O"[٤٠] (آل عمران: ١٣٥)، فقد جاء المعدل للآية كلها – بجملتيها الشرطيتين – سريعاً، حيث بلغ (١٤.١٦ ف/ث)، وقد ناسب الخطيب الثاني بين هذا التزمين السريع، وبين عدد الوقفات، فلم يحدث إلا وقفة واحدة نهاية الآية.

ولكن التناسب بين عدد الوقفات والتزمين ليس أمراً مطرداً، يمكن تعميمه، فقد وجد أن بعض الخطباء قد أكثروا من الوقفات في الجملة التي جاءت بتزمين سريع، كما في الجملة (٦): "بِرَبِّكُمْ مَاذَا يَبْقَى للعَبْدْ O إِذَا انْقَطَعَتْ صِلَتُهُ بِرَبِّهْ O وَحُجِبَ دُعَاؤُهْ O وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحْمَةْ O"[٤١]، فهنا أربع وقفات مع أن التزمين يعد سريعاً، حيث بلغ المعدل (١٥.٤٢ ف/ث). ويمكن الرد على مثل هذا التناقض بأنه عائد إلى عدم دقة الأداء،

الذي أخل بالتلازم بين عدد الوقفات والتزمين. وبذلك يسلم الكلام الأول، وهو أن التزمين البطيء تكثر فيه الوقفات، والتزمين السريع تقل فيه.

أما الأمر الثاني الذي يؤثر في عدد الوقفات في الكلام هو طول الجملة، أو قصرها، فالجملة الطويلة يغلب فيها أن تكون ذات وقفات كثيرة، كما في الجملة: (٢٣٦): "فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهْ O وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ O وَقَدِّمُوا لَهُمْ الخَيْرَ وَلَوْ جَفَوْا O وَصِلُوهُمْ وَإِنْ قَطَعُوا O يُدِمِ اللهُ عَلَيْكُمْ بَرَكَاتِهْ O وَيَبْسِطْ لَكُمْ فِي الأَرْزَاقْ O وَيُبَارِكْ لَكُمْ فِي الأَعْمَالْ O وَيُبَارِكْ لَكُمْ – أَيْضَاً – فِي الأَعْمَارْ O"[٤٢] فهذه الجملة الطويلة، أحدث الخطيب السابع فيها ثماني وقفات، ويغلب في الجمل القصيرة أن تكون الوقفات قليلة، كما في الجملة (١٨): "مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهْ O"[٤٣].

وقد تبين من خلال المادة المدروسة تميز نظام الوقفات في الجملة الشرطية بأنه سمح للخطباء بثلاثة خيارات:

الأول: جعل الجملة الشرطية مجموعة نفسية واحدة، وذلك باشتمالها على وقفة واحدة.

الثاني: جعل الجملة الشرطية مجموعتين نفسيتين، وذلك باشتمالها على وقفتين: الأولى بعد الشرط، والثانية بعد الجواب.

الثالث: جعل الجملة الشرطية ثلاث مجموعات نفسية فأكثر، وذلك باشتمالها على ثلاث وقفات: الأولى بعد أداة الشرط عندما يكون لها متعلقات، والثانية بعد الشرط، والثالثة بعد الجواب. وقد تكون هناك وقفة رابعة أو خامسة ... في حالة وجود تابع للشرط، أو للجواب، أو لكليهما.

ويبقى السؤال: هل هناك علاقة بين عدد الوقفات في الكلام – كثرة وقلة – وبين الكم الزمني لهذه الوقفات – طولاً وقصراً؟

من خلال نتائج الدراسة السمعية، والمعملية تبين أنه لا توجد علاقة ثابتة بين عدد الوقفات – كثرة وقلة – وبين زمن الوقفات – طولاً وقصراً – فلا يشترط في الجملة المحتوية على وقفات قليلة أن يكون الكم الزمني لهذه الوقفات قصيراً، بل إن المسألة لا تحكمها قاعدة ثابتة، فهناك جملٌ ذات وقفات كثيرة العدد، كبيرة الكم الزمني، وهناك جملٌ ذات وقفات كثيرة العدد صغيرة الكم الزمني.

فمثلاً: الجملة (١١٥): "من ولاّه اللهُ شيئاً مِن أَمرِ أُمَّتي O أَوْ مِنْ أَمرِ المسلِمينْ O فَاحْتَجبْ O دُونَ حَاجتِهِمْ O وخِلّتهِمْ O وَفقرِهِمْ O احْتَجَبَ اللهُ دونَ حَاجتِه وَفقْرِهِ وخِلّتهِ يَوْمَ القيامةْ O".(٤٤) لقد اشتملت على ست وقفات وسكتة واحدة، وتنوع الكم الزمني لكل منها بين القصر والتوسط والطول، هكذا:

الوقفة	الكم الزمني (من الثانية)
الأولى	٠.٥٢٥٠
الثانية	٠.٥٥٠٠
السكتة	٠.٤٦٢٥
الثالثة	٠.٣٦٨٧
الرابعة	٠.٣٨٧٥
الخامسة	٠.٣٧٥٠
السادسة	٠.٧٤٣٧

والجملة (٣١): "أَمَّا بَعدُ فَيَا عِبَادَ اللهْ O اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهْ O وَاسْتَقِيمُوا عَلَى شَرْعِهِ وَلاَ تَعْصُوهْ O وَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهْ O

وَأَخْلِصُوا لَهُ أَعْمَالَكُمْ وَوَحِّدُوهُ O وَعَظِّمُوا حُرُمَاتِهِ O وَعَلَى نِعَمِهِ اشْكُرُوهُ O"[٤٥] قد اشتملت على ست وقفات، لكنها جاءت كلها قصيرة، وذلك على النحو الآتي:

الوقفة	الكم الزمني (من الثانية)
الأولى	٠.٣١٢٥
الثانية	٠.١٨١٢
الثالثة	٠.٢١٢٥
الرابعة	٠.١٩٣٧
الخامسة	٠.٢٨٧٥
السكتة	٠.١٣١٢
السادسة	٠.٢٦٨٧

كما وقفت الدراسة على جملٍ ذات وقفة واحدة لكنها ذات كم زمني كبير، كما في الجملة (١١٣): "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئَاً فَشَقَّا عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهْ O"[٤٦] فلقد جاء الكم الزمني لهذه الوقفة كبيراً، حيث بلغ ٠.٩٠٦٣ من الثانية، على الرغم من أن الكلام لم ينته بعد، وهنا يعد طول الوقفة عيباً من الخطيب الأول.

وعلى الرغم من ذلك؛ فإنه يمكن القول بأن معظم الجمل التي كثرت فيها الوقفات جاء الكم الزمني لهذه الوقفات كبيراً، وعلى العكس من ذلك تلك الجمل التي قلت الوقفات فيها، جاء كمها الزمني صغيراً.

ج- علاقتها بالإيقاع:

الوقفات عنصر من عناصر صنع الإيقاع في الكلام، وذلك من خلال تقسيم الكلام إلى مجموعات نفسية، أو مجموعات كلامية، تكون كل مجموعة منها وحدة إيقاعية تتكرر بعد كل وقفة.

وقد كثرت في الدراسة الأمثلة التي توضح دور الوقفة في الإيقاع، ومن تلك الأمثلة:

* **الجملة (٢٤١): "إِنْ دَنَوْت مِنْهُ دَانَاك O"**
* **الجملة (٢٤٢): "إِنْ بَعدْتَ عَنْهُ رَاعَاك O"**
* **الجملة (٢٤٣): "إِنْ اسْتَعَنْتَ بِهِ أَعَانَك O"**
* **الجملة (٢٤٤): "إِنْ احْتَجْتَ إِلَيْهِ رَفَدَك O"(٤٧)**

هذه الجمل الأربع استطاع الخطيب السابع فيها بأدائه الجيد أن يجعل الأولى منها وحدة إيقاعية، قد تكررت في الجمل الثلاث الباقية. وذلك لأنّها تساوت على المستوى النحوي، والصرفي، والبلاغي، وعلى المستوى الصوتي بالنسبة للمقاطع، وللأصوات، وعلى المستوى الأدائي بالنسبة للنبر، وللتزمين، وكذلك الوقفات التي جاءت متقاربة في طولِها الزمني، وذلك على النحو الآتي:

١- جعل الخطيب الوحدة الإيقاعية، أو الجملة الشرطية مجموعة نفسية واحدة، تنتهي بوقفة.

٢- جعل أهم جزء في الوحدة الإيقاعية، أو الجملة الشرطية هو الجواب، ومن ثَمَّ جعله موضع نبر الجملة؛ مما يدل على تساويها في الأهمية.

٣- قارب الخطيب في عنصر الكم الزمني للوحدة الإيقاعية، وعليه يتقارب التزمين – كذلك – كما يتضح فيما يأتي:

رقم الجملة	الجملة		
	عدد فونيماتها	الكم الزمني	المعدل العام ف/ث
٢٤١	٢٣	١.٨٢٥	١٢.٦٠
٢٤٢	٢٣	١.٧٨٧	١٢.٨٧
٢٤٣	٢٥	٢.٢٤٤	١١.١٤
٢٤٤	٢٤	٢.١٥٦	١١.١٣

٤-قارب الخطيب – كذلك – في الأكمام الزمنية للوقفات في الجمل الأربع، هكذا:

رقم الجملة	الوقفة نهاية الجملة
٢٤١	٠.٦١٢٥
٢٤٢	٠.٦٠٢٦
٢٤٣	٠.٥٠٦٢
٢٤٤	٠.٥٨٧٥

المحور الثالث: أنواع الوقفات من خلال وظائفها

من خلال وظائف الوقفات – السالفة الذكر – يمكن استخلاص أنواع الوقفات، وذلك على النحو الآتي:

١- من حيث النَّفَس:

تنقسم الوقفات التي يحدثها المتكلم في كلامه إلى نوعين:

أ- وقفات نَفَسية: وهي التي تكون مصحوبة بنَفَس، أي تكون من أجل التنفس، وتزويد الرئتين بالهواء؛ حتى تستمر عملية التكلم، هذا في الكلام العادي، أما في الكلام المُعتنى به، والمتفنن فيه فإن المتكلم يتخير وقفاته النَفَسية؛ وقفاً لخط المعنى، وحرصاً للتأثير على السامعين.

ب-وقفات غير نَفَسية: وهي التي تكون غير مصحوبة بنَفَس، وهو ما اصطُلح على تسميته بالصمتة؛ أو السكتة. ويتركز فرق ما بين النوعين في أمرين:

الأول: مسألة التنفس.

والثاني: أن الصمتة، أو السكتة لا يلجأ المتكلم إليها إلاّ قاصداً، ومعنى ذلك أنه يوظّفها دلالياً في لفت انتباه السامع إلى الكلام. أما الوقفة النَفَسية فالمتكلم بالخيار، قد يوظّفها دلاليا، وقد لا يوظّفها.

٢- من حيث الانتهاء:

سبق القول عند الحديث عن وظيفة الوقفات أن الوقفة تفيد السامع انتهاء الكلام، أو عدم انتهائه، وعلى ذلك يكون لدينا نوعان من الوقفات:

الأول: الوقفات المنتهية: وهي التي تحدث عند اكتمال المعنى، أو انتهاء الكلام، وغالباً ما تكون مواضعها:

- في نهاية الجمل المستقلة في معناها.
- في نهاية الجمل الكبرى.
- في نهاية الفقرة التي تشتمل على مجموعة من الجمل، لكنها تدور حول معنى عام واحد.
- في نهاية الكلام.

والنوع الثاني: الوقفات غير المنتهية: وهي التي تحدث قبل أن يكتمل المعنى، أو ينتهي الكلام، وغالباً ما تكون مواضعها:

- على حدود الكلمات في داخل المجموعة الكلامية الواحدة.
- على حدود المجموعات في داخل الجملة.
- على حدود الجمل الصغرى في داخل الجملة الكبرى.
- على حدود الجمل في داخل الفقرة.

وقد جاء عدد الوقفات الدالة على عدم الانتهاء في الجمل الشرطية أكثر من الوقفات الدالة على الانتهاء، وذلك لكثرة الجمل التابعة للشرط، أو للجواب، أو لكليهما.

٣- من حيث الكم الزمني:

من الجدول السابق رقم (٢) الذي عقدت فيه المقارنة بين التزمين والوقفات عند كل خطيب على حدة، تَمَّ تحديد أنواع الوقفات بمراعاة كمها الزمني، وذلك على النحو الآتي:

١- **وقفات قصيرة**: وهي التي تبدأ من ٠.٤٠٠٠ من الثانية إلى ما دون ذلك.

٢- **وقفات متوسطة**: وهي التي تبدأ من ٠.٤٠٠٠ من الثانية إلى ٠.٥٠٠٠ من الثانية.

٣- **وقفات طويلة**: وهي التي تبدأ من ٠.٥٠٠٠ من الثانية إلى ما فوق ذلك.

الخاتمة:

أسفرت دراسة "الوقف في الجملة الشرطية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين" عن عدد من النتائج، يمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

١- السكون جزء من نظام الحركات في اللغة العربية، لأنه يؤدي وظيفتها، ولذا سمّاه د. بشر بالحركة الصفر.

٢- تعدد الأنماط التي تأتي عليها الجملة الشرطية، فتميزت في تركيبها بما انعكس على تميزها الدلالي، وظهر هذا التميز في الأداء بشكل واضح في الدراسة.

٣- عناية السابقين بدراسة الوقف، وما يتصل بقضاياه مما يعد سبقاً لأسلافنا، يجدر بدارسي الأصوات اليوم إكمال المسيرة منه.

٤- توظيف الخطباء للوقفات أضفى على أدائهم الخطابي الحسن والجمال فعلقت المعاني المقصودة بأذهان السامعين.

٥- الكشف عن الملامح العامة المميزة للوقفة المنتهية والوقفة غير المنتهية.

٦- تصنيف الوقفات بمراعاة الكم الزمني لها إلى وقفات قصيرة، ومتوسطة، وطويلة.

٧- التناسب الطردي بين عدد الوقفات – كثرة وقلة – وبين زمن الوقفات – طولاً وقصراً – في الأعم الأغلب، فالجمل التي كثرت فيها الوقفات جاء الكم الزمني لهذه الوقفات كبيراً، والعكس بالعكس.

٨- تحديد مواضع الوقفات المنتهية والوقفات غير المنتهية حسب المادة المدروسة.

٩- التلازم بين الوقفات والعناصر الأدائية الأخرى في الوظيفة الأدائية:

- الوقف عامل من عوامل انتقال النبر.

- الوقف عامل يمكّن المتكلم من إحداث نبر المجموعة الذي يؤدي وظيفته الأدائية.

- التزمين البطيء يواكبه عادة وقفات أطول زمناً وأكثر عدداً، والتزمين السريع يرافقه وقفات أقصر زمناً، وأقل عدداً.

١٠- اختلاف دلالة الوقفة غير المنتهية حسب مراد المتحدث.

١١- الكشف عن العوامل المؤثرة في الكم الزمني للوقفات من خلال الدراسة وهي ثلاثة عوامل: شخصية المتكلم – التزمين – وظيفة الوقفة.

الهوامش:

(١) انظر: د. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية (الدار العربية للكتاب) ص ٢٦٥.

(٢) انظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي (١٤١١هـ/١٩٩١م – عالم الكتب – القاهرة) ص ٢١٩.

(٣) انظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون (ط١ – ١٤١١هـ/١٩٩١م – دار الجيل – بيروت) ٥٦/٣. الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل (دار الآفاق – بيروت) ص ١٩٠ – ١٩١.

(٤) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب تأليف محمد محي الدين عبد الحميد (١٩٩٢م – المكتبة العصرية – بيروت) ص ٣٧.

(٥) انظر: دراسات في علم اللغة (ط٩ – ١٩٨٦م – دار المعارف – مصر) ص ١٧٥-٢١٣.

(٦) انظر: دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر (دار المدني – جدة) ص ٨١.

(٧) المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (عالم الكتب – بيروت) ٤٩/٢.

(٨) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد: المرتجل، تحقيق ودراسة علي حيدر (١٣٩٢هـ – دمشق)، ص ٢٢٠.

(٩) انظر: خالد بن عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح (مطبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة) ٢/٢٠٣.

(١٠) انظر: د. أحمد عارف حجازي: الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة (٢٠٠٨ – دار فرحة – المنيا) ص ٣٦-٤٧.

(١١) انظر: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية – بيروت) ٤/٣٤٢-٣٥٤.

(١٢) أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع (دار الكتب العلمية – بيروت)، ١/٢٤٠.

(١٣) النشر، ١/٢٢٥.

(١٤) السابق، ١/٢٣٩-٢٤٠.

(١٥) انظر مثلاً: د. أحمد عارف حجازي: الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات.

(١٦) الدكتور عبد الله ربيع، والدكتور عبد العزيز علام: علم الصوتيات (مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٣٥٢.

(١٧) انظر: الدكتور عبد العزيز علام: من التزمين في نطق العربية الفصحى بمصر المعاصرة، (رسالة دكتواره بكلية اللغة العربية – قسم أصول اللغة، ١٩٧٣م)، ص ١٣٠.

(١٨) الجملة (١٦٦)، الخطبة الحادية عشرة، اعتمدت الدراسة على رمز (O) للوقفة، ورمز (Q) للسكتة.

(١٩) الجملة (١٢٦)، الخطبة الثامنة.

(٢٠) الخطبة الثانية، الخطيب الرابع.

(٢١) الجملة (٧)، الخطبة الأولى.

(٢٢) الخطبة الخامسة، الخطيب الخامس.

(٢٣) الخطبة الثالثة عشرة، الخطيب السادس.

(٢٤) الخطبة الأولى، الخطيب الثالث.

(٢٥) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار (ط٢ – دار الهدى – بيروت)، ١٢٨/٣.

(٢٦) الخطبة السابعة عشرة، الخطيب الثاني.

(٢٧) الخطبة الثالثة عشرة، الخطيب السادس.

(٢٨) الخطبة الرابعة عشرة، الخطيب السابع، انظر: أبو داود أشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية) كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم ٣١١٦، ١٩٠/٣.

(٢٩) الخطبة السادسة، الخطيب الخامس.

(٣٠) الخطبة الأولى.

(٣١) الخطبة الثانية عشرة.

(٣٢) النبر: "وضوح نسبي لصوت، أو مقطع، إذا ما قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام". انظر: د. تمام حسان: مناهج البحث (ط ١٩٩٠م – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة) ص١٦٠.

(٣٣) الخطبة الرابعة.

(٣٤) الخطبة العاشرة، الخطيب السادس.

(٣٥) التزمين: "السرعة التي يتخذها المتكلم ويحسها السامع نحو الكلام المنطوق" أنظر: د. عبد العزيز علام ود. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، ص٣٤٥.

(٣٦) الخطبة الثالثة، الخطيب الثالث.

(٣٧) الخطبة العاشرة.

(٣٨) الخطبة الثامنة، الخطيب الأول، انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م – بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض) كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم ٤٠٨، ص ١٧٥.

(٣٩) الخطبة السادسة عشرة، الخطيب السابع.

(٤٠) الخطبة التاسعة.

(٤١) الخطبة الأولى، الخطيب الثالث.

(٤٢) الخطبة الخامسة عشرة.

(٤٣) الخطبة التاسعة، الخطيب الرابع.

(٤٤) الخطبة السابعة، الخطيب الأول.

(٤٥) الخطبة الثانية، الخطيب الرابع.

(٤٦) الخطبة السابعة، بقية النص: "وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئَاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهْ O". مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم ١٨٢٨، ص ٧٦٣.

(٤٧) الخطبة الخامسة عشرة.

المصادر والمراجع:

١- د. أحمد عارف حجازي: الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة، ٢٠٠٨م – دار فرحة – المنيا.

٢- د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ١٤١١هـ/١٩٩١م – عالم الكتب – القاهرة.

٣- أبو داود أشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – د. ت – المكتبة العصرية – د م، ٥ ج.

٤- د. تمام حسّان: مناهج البحث، ١٩٩٠م – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة.

٥- الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، د. ت – دار الآفاق – بيروت.

٦- خالد عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، د. ت – مطبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، جزآن.

٧- د. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. ت – الدار العربية للكتاب – د. م.

٨- د. عبد العزيز علاّم:

= عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م – مطبعة السعادة – د. م.

= من التزمين في نطق العربية الفصحى بمصر المعاصرة، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية – قسم أصول اللغة، ١٩٧٣م.

٩- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣ – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م – مطبعة المدني – مصر/ دار المدني – جدة.

١٠- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد: المرتجل، تحقيق ودراسة علي حيدر، ١٣٩٢هـ/١٩٨٢م – د. ن – دمشق.

١١- أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري:

= أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد، د. ت – المكتبة العصرية – بيروت، ٤ ج.

= شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٩٢م – المكتبة العصرية – بيروت.

١٢- د. عبد الله ربيع و د. عبد العزيز علاّم: علم الصوتيات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م – مكتبة الرشد – الرياض.

١٣- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق محمد النجار، ط٢ – د. ت – دار الهدى – بيروت، ٣ ج.

١٤- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ١٤١١هـ/١٩٩١م – دار الجيل – بيروت، ٥ ج.

١٥- د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ط٩ – ١٩٨٦م – دار المعارف – مصر.

١٦- أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري: النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الطباع، د. ت – دار الكتب العلمية – بيروت، جزآن.

١٧- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، د. ت – عالم الكتب – بيروت، ٤ ج.

١٨- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م – بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.